يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} [المعارج: ٤٢ - ٤٣]،{إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾} [المزمل: ١٢ - ١٤]،{فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾} [عبس: ٣٣ - ٣٤].

* * *

8- محمد والمسيح بعد موتهما

* دُفِن محمد في المدينة المنوّرة، وقبره معروف حتى الآن، ويزوره ملايين من الحجاج سنويا مؤمنين أن عظام محمد لا تزال في قبره، وأن نفسه دخلت البرزخ وهو ينتظر يوم الدين العظيم. أما المسيح فرفعه الله إليه.{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران: ٥٥].{بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء: ١٥٨]. فالله أخرج ابن مريم من قبره، وأصعده إلى نفسه، وهو من المقربين، وجيهًا في الدنيا والآخرة.{ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾} [آل عمران: ٤٥]. لقد وُجد قبر المسيح فارغًا لأنه قام حقًّا كما أعلن مسبقًا، وأما عظام محمد فلا تزال في قبره. المسيح حي، وأما محمد فميّت: لم يقم بعد من الأموات، ولم يصعد إلى جنة عدن حتى الآن. ما أعظم الفرق بين الموت والحياة! وكما أن الحياة أعظم من الموت، هكذا يكون المسيح أعظم من محمد. المسيح هو الحياة الأبدية بالذات.

** فى الرد على هذه الفقرة نعيد أولا ما قلناه قبلا من أن فى القرآن كلاما عن ابن مريم يوم القيامة يصوره عليه السلام و هو واقف أمام ربه يسأله عما أتاه أتباعه من بعده من تأليههم له، سؤالَ الرب لعبده الخائف الراجف الذى يعرف حدوده جيدا، فهو يسارع بالتنصل من هذا الكفر الشنيع وممن قالوه. ثم إن محمدا عليه الصلاة السلام لهو صاحب الشفاعة

العظمى حسبما نَصَّ على ذلك كثير من الأحاديث النبوية، و هذا معنى قوله تعالى: " عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ". فالشفاعة ستكون لسيدنا محمد عليه السلام وحده من دون الأنبياء والرسل بما فيهم سيدنا عيسى عليه السلام. و هذه إحدى المكرمات التى اخْتُصَّ بها سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم، وإن كان هذا لا ينال من عيسى ولا غيره من المرسلين فى شىء، فتقديم أحد الأنبياء على سائر إخوانه لا يسىء إليهم فى قليل ولا كثير، فكلهم مكرَّمون معظَّمون بفضل الله، لكنه يدل على أن صاحب التقديم قد اخْتُصَّ بمزيد من التكريم والتعظيم.

ومن مقارنات الواعظ الطيب الذى على نياته قوله إن عيسى قد أُصْعِد إلى السماء حيا، بينما لا تزال عظام محمد فى قبره. وتعقيبنا على هذا هو أن عيسى، طبقا لما يؤمن به الواعظ المحترم وطائفته، قد مات مثلما مات محمد، فما المشكلة إذن؟ لكنه يقول إن عيسى قام من الأموات، أما محمد فلا. ترى هل وجود عظام إنسان فى الأرض يعنى أن روحه هى أيضا فى الأرض؟ إن كل الأرواح عند فناء الجسد تصعد راجعة إلى ربها، أما الجسد فهو كساء وقتى تكتسيه الروح ثم تخلعه لدى الموت. وبناءً على هذا فوجود عظام النبى الكريم فى المدينة المنورة لا يعنى أبدا أن روحه ليست عند ربه سبحانه وتعالى. ثم هل الله سبحانه وتعالى فى السماء فعلا؟ أم هو فوق الزمان والمكان بحيث إن رَبْط الناس بينه سبحانه وبين السماء عادةً لا يعنى أنه فى السماء أو فوقها؟ وعلى أية حال فقد عُرِج به فى حياته صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العلا حتى بلغ سدرة المنتهى كما ذكر القرآن الذى يستشهد به واعظنا الطيب. كذلك فالنص القرآنى ليس قاطع الدلالة فى موضوع صعود عيسى عليه السلام بالجسد ولا صعوده حيًّا، إذ تقول الآية الكريمة:{ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥]، وليس فيها على سبيل القطع الذى لا تمكن المماراة فيه أنه سبحانه قد أصعده إلى السماء حيًّا بجسده. إن من المسلمين من يفهم تلك الآية كما فهمها القُمّص، لكن هناك أيضا من المسلمين من يقولون بالوفاة العادية ورِفْعَة المكانة لا الجسد. وعلى أية حال هل هناك فرقٌ يُذْكَر بين قوله سبحانه عن السيد المسيح وبين قوله عن إدريس عليهما السلام:{وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧} [مريم: ٥٦ - ٥٧]؟ ثم إن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ذكر كذلك أن إيليّا قد رفعه الله إليه أيضا بالمعنى المادى، أى أصعد جسده إلى السماء: " وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. وَكَانَ أَلِيشَعُ يَرَى وَهُوَ يَصْرُخُ: «يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا». وَلَمْ يَرَهُ بَعْدُ " (ملوك 2/ 2/ 11- 12). إننى لا أبغى أبدا التقليل من شأن سيدنا عيسى عليه السلام، فنحن المسلمين نَعُدّ أنفسنا أتباعه الحقيقيين ونؤمن أن غيرنا قد كفروا به وضلّوا عن سواء السبيل وأشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطانا. كل ما هنالك أننا نحاول أن نقدم صورة منطقية ومستقيمة وصحيحة فى المقارنة بين النبيين العظيمين: محمد وعيسى عليهما السلام. وفى النهاية نقول: فلنفترض أن عيسى قد أُصْعِد فعلا بجسده إلى السماء وأنه هو وحده الذى حدث له ذلك، فالسؤال حينئذ هو: وماذا بعد؟ وما الفائدة التى عادت على الدعوة من جَرّاء هذا؟ لقد ترتب على هذا الصعود وغيره أن أشركه كثير من البشر مع الله، وهو البشر الضعيف العاجز الفانى! وأخيرا لقد سكتّ طوال الفقرة كلها فلم أشأ أن أفسد على الواعظ الطيب الذى على نياته فرحته فأقول له: إنك بإصرارك على أن المسيح قد صعد فى السماء بجسده لتهدم معتقدك فى ألوهيته وتجسُّده حسبما تقول، إذ إنه

إنما تجسد هنا على الأرض كى يكون مثلنا ويذوق الألم كما نذوقه ويموت على الصليب كأى إنسان يموت عليه... إلخ، فما معنى أن يبقى بجسده بعد ذلك كله إذن، أى بعد أن تحققت الحكمة من تجسده وتم صلبه وفداؤه للبشر من خطيئتهم وعاد من حيث أتى ورجع إلها خالصا كما كان لا تشوبه شائبة من البشرية؟ ألا يرى واعظنا الطيب أنه يضع نفسه دائما فى مأزق عسر لا يمكنه التخلص منه؟

* * *

9- سلام محمد وسلام المسيح

* ينطق جميع المسلمين عند ذكر اسم محمد بالعبارة: صلى الله عليه وسلم. أَلَمْ يحلّ سلام الله على محمد بعدُ حتى ينبغي على الله والملائكة أن يصلوا عليه كما هو مكتوب في سورة الأحزاب.{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦} [الأحزاب: ٥٦]. لَمْ يتبرَّر محمد بعدُ ويتمتع بالخلاص الأبدي بل ينقصه سلام الله حتى يكون فرض على جميع المسلمين في كل العصور أن يصلوا عليه ويسلموا. أما المسيح فيشهد حسب القرآن: السلام عليّ يوم وُلِدْتُ ويوم أموت ويوم أُبْعَث حيًّا. فابن مريم هو رئيس السلام الذي عاش من بداية حياته إلى نهايتها في سلام مع الله وفي رضاه. قد تمت ولادته من مريم العذراء حسب إرادة الله وقدرته بدون خطية، فعمّ السلام لأجل تجسد كلمة الله حتى انفتحت السماوات وأنشدت الملائكة مرنمة: الْمَجْدُ لِلّهِ فِي الأَعَالِي. وَعَلَى الأَرْضِ السَّلامُ. وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ- لوقا 2: 14. مات المسيح موتًا حقيقيًّا. إنما لم يمت بسبب خطاياه، بل بسبب خطايانا نحن الخطاة. فاختبر المسيح حتى في موته السلام مع الله. جميع الناس يموتون بسبب خطاياهم